هنيئاً لك الفضل يا أبا الفضل

الأستاذ يحيى قاسم أبو عواضة

لقد تشرفت بمعرفة الشهيد الرئيس صالح الصماد من بعد الحرب الأولى وبالتحديد في العام ١٤٢٥هـ حيث كان لي أول لقاء معه في بيت الأخ العزيز الحاج أحمد جران حيث تمت استضافتي عندهم لمعرفة تفاصيل ما دار في الحرب الأولى.

وكان اللقاء مثمراً ومفيداً وظل هذا اللقاء محفوراً في ذاكرة الشهيد الصماد فكان كثيراً ما يحدثني به وبما تركه من أثر في نفسه، ثم عرفته فيما بعد رجلاً عملياً، مستشعراً لمسؤوليته أمام الله، قائداً عسكرياً، وناشطاً ثقافياً بارزاً، وشخصية اجتماعية مؤثرة، يجذب الناس جميعاً بتلك الابتسامة التي لا تكاد تفارق وجهه، وكان لا يخلو حديثه من الاستشهاد بالآيات القرآنية، مع كل من يتحدث معه وفي أي موضوع.

لقد كان أجمل وأعظم شيء تقدمه له هو ما كان من هدى الله، سواء محاضرات أو مواقف أو عبر، ولذلك كان كثيراً ما يستضيف في بيته كل من يعرف بأنه سمع من الشهيد القائد السيد حسين بدر الدين الحوثي رضوان الله عليه مباشرة ويستمتع بالحديث معهم، ويكثر من السؤال لهم.

ولقد حظي شهيدنا الرئيس رضوان الله عليه بشرف ثقة السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي، وكان بحق واحداً من أولئك الذين كان يعتمد عليهم السيد لمواجهة المهمات الصعبة، والأزمات التي تعترض المسيرة القرآنية في أحلك الظروف التي مرت بها بحكم ما كان يتمتع به من العلاقات الواسعة والوجاهة الكبيرة وخصوصاً في مديرية سحار.

تولى العمل مشرفاً ثقافياً في المسيرة القرآنية بعد الحرب السادسة تقريباً وكان جديراً بهذا العمل وكفؤاً له شهد له بذلك السيد نفسه وأنا أسمعه؛ حيث نشط العمل الثقافي في زمن إشرافه بشكل لم يحدث مثله لا من قبله ولا من بعده، وكان يمثل العمل الثقافي قولاً وعملاً وسلوكاً، في المجتمع وفي المناسبات وفي الميدان، إلا أن السيد حفظه الله بعد أن اتسعت دائرة المسيرة القرآنية وتعددت مجالاتها اضطر بأن يدفع به في المعترك السياسي بدءاً بالمجلس

السياسي لأنصار الله وما تلى ذلك من الأعمال السياسية حتى وصل بكل جدارة وكفاءة إلى رئاسة الجمهورية اليمنية، ليقود هذا البلد في أصعب ظروف قد مر بها طوال تاريخه، وأمواج الفتن والمؤامرات تعصف به من كل جانب ومن الداخل والخارج فكان بحق نعم القائد.

وبذلك وصل إلى قلب كل يمني حر وأبي بما مثله من أصالة هذا الشعب الذي عرف عبر التاريخ بحكمته وشجاعته وحريته وإباه للظلم وكراهته للاستعمار والوصاية، ولا يخفى على أحد ما حظي به من المكانة والمحبة في قلوب أبناء هذا الشعب العظيم بل حتى في قلوب كثير من أبناء الأمة العربية والإسلامية، فلم يخفوا إعجابهم بهذا الرجل الاستثنائي الذي لم يكونوا يشاهدونه في القصر الجمهوري رئيساً وسياسياً ورجل دولة يوجه ويأمر ويستقبل كما هي عادة الزعماء؛ بل كانوا يرونه على منابر المساجد خطيباً لامعاً، وواعظاً ماهراً، وفي محضر العلماء الأجلاء يسمعونه عالماً مرشداً، وموجهاً حكيماً، وناصحاً صادقاً، وفي نفس الوقت يشاهدونه في جبهات القتال وفي الخطوط الأمامية الساخنة بطلاً جسوراً مقداماً يرفع للمقاتلين معنوياتهم ويشد من عزائمهم بالدرر من عزة القرآن الكريم وبيناته وبصائره، أما المجتمع فإنهم كانوا يشاهدونه بين أبناء مجتمعه في كل لحظه بينهم يواسيهم ويتحسس همومهم ويعمل على أن يرفع عنهم ما يستطيع من معاناتهم التي يصنعها العدوان الظالم بحقده وتوحشه.

أما في الفتنة التي أشعلها الخائن علي صالح، الورقة التي كان يراهن عليها العدوان في إغراق اليمن بحرب داخلية تأكل الأخضر واليابس، وتسليمه لأعدائه لقمة سائغة فقد كان للشهيد الرئيس الصماد الدور الأبرز في القضاء على الفتنة وإعادة تطبيع الأوضاع في فترة قياسية أذهلت العالم مما رفع منسوب المحبة له في قلب كل يمني غيور.

هذا الصفات التي قل أن تجتمع في شخص واحد وهذا المحبة التي ملأت قلوب اليمنيين أزعجت قوى العدوان وعلى رأسهم أمريكا وإسرائيل فبدأوا يحيكون المؤامرات للقضاء عليه، ولم يخفوا حقدهم لهذا الرجل العظيم فكان لديهم الرجل الثاني بعد السيد عبد الملك حفظه الله في قائمة المستهدفين للتحالف الأمريكي الصهيوني السعودي الإماراتي.

غير أن ذلك التهديد والوعيد والمحاولات المتكررة لاستهدافه بالطيران لم يهز فيه شعرة ولم يثنه عن تحركه في كل المجالات وعلى كل صعيد لأداء واجبه تجاه شعبه في وقت شعبه بأمس الحاجة إلى حضوره وتواجده.

لقد أبى الشهيد الرئيس الصماد إلا أن يختم حياته الجهادية ومسيرته النضالية بذلك الموقف الذي سيظل في ذاكرة اليمنيين عبر الأجيال ولن ينساه أحد من اليمنيين إلا جاحد حاقد ولئيم، حيث لم تمنعه الأخطار ولم تثنه التهديدات من النزول إلى محافظة الحديدة للدفاع عنها في مواجهة التهديدات الأمريكية باجتياحها؛ فهب مسرعاً إليها وروحه على كفه ليكون جسراً حامياً وواقياً لها من الأخطار والمؤامرات.

وهذا ما أثار الحقد والتوحش لدى الشيطان الأكبر وأدواته فتحركت أمريكا (الشيطان الأكبر) وسخَّرت كل إمكانياتها التجسسية لمراقبة ومتابعة الشهيد الرئيس الصماد الذي في الواقع لم تكن مراقبتهم له ومتابعتهم له بالشكل الذي يثنيه عن القيام بواجبه الديني والوطني في الدفاع عن بلده وشعبه، وأن يكون بين جماهير شعبه يدافع عنهم ويفديهم بروحه الطاهرة حتى ارتقت روح شهيدنا البطل المقدام إلى بارئها في عملية إجرامية حركت لها أمريكا كل إمكانياتها وقدراتها.

لقد اعتقد الصهاينة وأدواتهم الرخيصة بأنهم باغتيال هذا البطل الشهم المقدام قد قضوا على أحد ألد خصومهم وطووا صفحة بطل أقض مضاجعهم، إلا أن الشعب اليمني الوفي لرجاله الصادقين المخلصين له فاجأهم بأن أثبت لهم بأن الصماد لم ينتهِ بل هو محفور في قلوبهم وفي مشاعرهم وفي وجدانهم.

لقد تحول الصماد إلى ملهم لهذا الشعب العظيم بعظمة مثل هذا القائد، تحول بالنسبة له إلى معلم وقائد وقدوة يستلهم منه رجال هذا الشعب كل معاني الرجولة والوفاء والصدق والتضحية والفداء، وليس أدل على ذلك من ذلك الخروج المهيب للشعب اليمني الذي أذهل العالم ليودع قائده العظيم المقدام ويعاهده على السير في طريقه الذي رسمه ويؤكد للعالم وخصوصاً تحالف العدوان بأنه سيظل وفياً لتضحيات رئيسه الصماد متحدياً تلك الصواريخ الحاقدة التي أطلقتها طائرات تحالف العدوان لتعبر عن سخطها وحقدها وقهرها أمام ما تشاهده من الحب والوفاء من يمن الإيمان والحكمة يمن الأنصار والفاتحين.

وسيظل الرئيس الشهيد صالح الصماد أحد أولئك العظماء الذين لن ينساهم الشعب اليمني وسيظل يفتخر ويسموا ويقتدي بهم حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

فهنيئاً لك يا أبا الفضل الصماد هذا الوسام العظيم، وسام الشهادة في سبيل الله بدرجة امتياز، هنيئاً لك ما نطق به عنك وما قال فيك السيد عبد الملك والسيد حسن نصر الله حفظهما الله

تعالى من مديح لم يكن لمجرد الإشادة بل هو شهادة عظيمة توِّجتْ بها مسيرة حياتك الجهادية ومن رجلين عظيمين ينظران بنور الله، هنيئاً لك هذا الحب الذي ملأ قلوب الناس في كل مكان فلم يبق حر شهم أبي في هذه الدنيا يعرفك إلا وبكى عليك، هنيئاً لك ما تركته من رصيد جهادي كبير شرفك الله به فكنت جديراً به وأهلاً له.

لقد قدمت يا شهيدنا العزيز النموذج الأرقى قولاً وعملاً وسلوكاً وتطبيقاً للمؤمن الصادق المخلص الواعي المسؤول، قدمت النموذج الحي لقيم وأخلاق هذه المسيرة القرآنية، مسيرة الأنبياء والرسل ومسيرة أعلام الهدى عبر التاريخ، قدمت النموذج الأرقى لمن يصل إلى موقع السلطة كيف ينظر إليها؟ وكيف يتعامل معها؟ إننا نستطيع من الآن ـ يا أبا الفضل ـ أن نقول لكل من يسألنا ما هو مفهوم السلطة في مشروعكم القرآني، سنقول له: انظر إلى شهيدنا العزيز الصماد لتعرف من خلاله مفهوم السلطة في مشروعنا القرآني، وكيف ننظر إليها، وأين تكمن قيمتها عندنا، نستطيع اليوم أن نقول لم يريد أن يعرف النموذج الذي يمكن أن تصنعه المسيرة القرآنية: انظر إلى شهيدنا الصماد الذي لم يكن نموذجاً عالياً فقط بل كان شاهداً حياً لعظمة أثر القرآن الكريم الذي ندعو إليه فيمن يجسدونه في حياتهم.

هل أقول لكم ـ أعزاءي ـ بالسر الذي جعل شهيدنا الصماد يصل إلى ما وصل إليه؟ إنه ــ والله ــ العشق لهدى الله الذي كنت ألمسه فيه، والذوبان في اتباعه واتباع السيد عبد الملك وتقديره لهذا العلم ولتوجيهاته، هذا الذي جعله يختصر المسافة ليصل إلى ما وصل إليه من المكانة، وأذكر ـ يا سادتي ـ بأنني عندما كنت أعطيه ملزمة جديدة عندما بدأنا نكتب الملازم من أشرطة الكاسيت كان يتهلل وجهه فرحاً وسعادة وكان يقرأها ودموعه تنزل على خديه؛ لأنه في الوقت الذي يتلذذ بقراءتها ويهيم بها لما يلمسه فيها من النور والهدى والبصيرة والوعي كان يستحضر الشهيد القائد السيد حسين رضوان الله عليه ومعاناته، وكيف أن الناس لم يعرفوا عظمته وعظمة مشروعه القرآني، هذا هو سر ارتقائه، وهذا هو الذي جعله عملاقاً، ونموذجاً راقياً.

فسلام الله عليك أيها الشهيد الصماد يوم ولدت ويوم استشهدت ويوم تبعث حياً.